تقديم الكتاب

كتاب فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ (الجزء الثالث). يشمل تاريخ خمسة عشر عاما من عهد فاروق الملك السابق منذ ٦ مايو سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٥١، ومن مراجعة الكتاب وسائر كتب أستاذنا ووالدى الروحى ومعلمى عبد الرحمن الرافعى. يشعر القارئ كيف بذل الرافعى جهده من خلال مؤلفاته.. فى سبيل رفع معنويات الشعب. ومستواه الأخلاقى الوطنى. وتوجيه المواطنين إلى التمسك بالمثل العليا فى حياتهم القومية. والإخلاص لبلدهم. وبذل كل ما فى مقدورهم لإسعاده ورخائه. إذ التاريخ كما قال الرافعى وبحق مدرسة للوطنية. يفهم المواطنون من خلالها حقائق أحوالهم فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم. وتلمس فى هذا الكتاب وسائر مؤلفات الرافعى فى تاريخ مصر القومى على مدى العصور. الروح الوطنية التى أملت عليه إخراج هذه الموسوعة التى لا نظير لها فى أى دولة من دول العالم. ولم تكن تلك السلسلة من كتب الرافعى مجرد سرد وقائع أو تدوين حوادث وإلا كانت كتبًا جامدة لا أثر لها فى نمو الشعب وتقدمه، وتوسيع أفكاره ومداركه والوقوف على مفاخره فيحافظ عليها. وعلى أخطائه فى الماضى فيعمل على تجنبها، ويتأنى فى خطوات حياته فلا يعيد ارتكابها مرة أخرى.

والكتاب يحوى تسعة فصول يحدثك الرافعى فيها عن الحالة السياسية فى أوائل عهد الملك السابق. ومعاهدة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦. ونقد الرافعى لها، ثم إلغاء الامتيازات الأجنبية والوزارات التى تولت الحكم خلال فترة الكتاب وزارة محمد محمود الثانية ثم وزارة مصطفى النحاس الخامسة. والحادث المشهور سنة ١٩٤٢. ومهما كُتب من كتب عن هذا الحادث فإن تفصيلاته وما دار قبله وبعده والرأى فى هذا الحادث فلا يصل إلى ما دونه الرافعى عن ذلك الحادث.

ويتكلم الرافعى عن حالة مصر أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد انتهائها، ووزارة أحمد ماهر ثم عودة الوفد إلى الحكم ومعه الحكم المطلق، وقبل ذلك تحدث عن مقتل أحمد ماهر ورأيه فى هذاالاعتداء، ووزارة النقراشى وغيرها من الوزارات المتتالية، وحادث مقتل النقراشى والشيخ حسن البنا والاعتداءات التى حدثت خلال هذه العهود.

وتناول الرافعى موجة القتل والإرهاب والإجرام وحوادث العنف كأنه يتحدث عما يجرى الآن فى سائر الدول.

لا أريد تلخيصًا كاملاً للكتاب فى تقديمه هنا ولكن على القارئ أن يقرأ فصوله كلها بإمعان ودقة، لأنها تحوى أسرارًا سياسية وذكريات ربما تناساها القدامى، وحتى يقف الشباب على تاريخ بلده الصحيح السليم البعيد عن الغرض والهوى.

دعاؤنا للرافعى بالرحمة والمغفرة.

المستشار

حلمى السباعى شاهين

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة الأسبق

عام ١٩٨٩

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثالث

هذا هو الجزء الثالث والأخير من كتاب «فى أعقاب الثورة المصرية»

عندما أرّخت الثورة فى كتاب «ثورة سنة ١٩١٩»، كان مما عنيت ببحثه توقيت الثورة وتحديد مداها، وانتهيت إلى أنها بدأت فى مارس سنة ١٩١٩، واستمرت إلى إبريل سنة ١٩٢١، وعلى هذا الأساس من التحديد الزمنى وضعت كتابى عن الثورة.

ثم أخذت فى تأريخ الفترة التى أعقبت نهايتها، فوضعت لها هذا الكتاب الذى يدل عنوانه على موضوعه «فى أعقاب الثورة المصرية».

وإذْ كانت هذه الفترة من تاريخ مصر القومى قد امتدت قرابة ثلاثين عامًا؛ فقد جعلت هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء، اشتمل الجزء الأوّل على تاريخ مصر القومى من نهاية الثورة فى أبريل سنة ١٩٢١، إلى وفاة سعد زغلول فى أغسطس سنة ١٩٢٧.

وتناول الجزء الثانى مرحلة أخرى، من وفاة سعد فى سنة ١٩٢٧، إلى وفاة الملك فؤاد فى أبريل سنة ١٩٣٦.

وهذا الجزء الثالث من الكتاب، الذى أقدمه اليوم، يشمل تاريخ خمسة عشر عامًا من عهد الفاروق.

وبهذا الجزء يتم كتاب «فى أعقاب الثورة المصرية»، وبه تكتمل المجموعة التى وضعتها فى تاريخ مصر القومى الحديث، من بدء ظهور الحركة القومية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر حتى اليوم (١٩٥١)؛ أى فى المائة والخمسين عامًا الأخيرة[١].

(١) ظهرت مؤلفات أخرى عن فترات تالية حتى ١٩٥٩.

ويطيب لى الآن، وقد اكتملت هذه المجموعة، أن ألقى عليها نظرة عامة، تصلح أن تكون تاريخًا لهذا التاريخ، وأقصد من هذه النظرة توضيح غرضى منها، والإحاطة بحلقاتها، ليكون ذلك أدعى إلى بيان الغاية التى سعيت إليها.

لقد شرعت فى وضع هذه المجموعة سنة ١٩٢٦،ذلك أنى فكرت منذ عدة أعوام سبقت تلك السنة فى إخراج كتاب الزعيم «مصطفى كامل» على اعتبار أنه باعث النهضة الوطنية الحديثة، ولكنى رأيت أن تاريخ مصطفى كامل يستتبع البحث فى مبدأ ظهور الحركة القومية، والتطورات التى تعاقبت عليها، فأخذت أدرس الأدوار التى تقدمت عصر مصطفى كامل، لأقف عند حدٍّ يصحّ اعتباره مبدأ الحركة القومية.

رجعت إلى الثورة العرابية، فإذا بها ترجع أسبابها ومقدماتها إلى الحركة الفكرية والسياسية التى ظهرت فى عهد إسماعيل، وهذه الحركة الأخيرة لم تظهر فجأة، ولم تكن الأولى فى تاريخ مصر القومى الحديث، بل هى تطورجديد للروح القومية التى بدأت تظهر على مسرح الحوادث السياسية، منذ أواخر القرن الثامن عشر، فإلى هذا العهد يجب أن نرجع بمبدأ الحركة القومية، وقد انتهى بى البحث إلى أن أوّل دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١)، ومن ثمَّ تطورت الفكرة عندى، من تأريخ لمصطفى كامل، إلى تأريخ لأدوار الحركة القومية جميعها، فترامت أمامى آفاق البحث، وتشعبت مسالك الدرس، واستشعرت ضخامة العمل إذا أردت أن أتمه على الوجه الذى أبتغيه، فأرجأته سنة بعد أخرى، حتى كانت سنة ١٩٢٦، فاستخرت الله وبدأت فى تنفيذه، واعتزمت أن أجعل سلسلة هذه المجموعة شاملة لتاريخ مصر القومى الحديث، مبحوثًا ومعروضًا على ضوء الحركة القومية، لاعتقادى أن التاريخ الحقيقى للأمم إنما هو تاريخ نهضاتها القومية، فى نواحيها المختلفة، السياسية والعلمية، والاقتصادية والاجتماعية، فهى أساس وجودها، ومبعث تطورها، وهى المعالم لتاريخها القومى، وينبوعه الفياض، وما التاريخ القومى إلّا كالمرآة، تنطبع عليها صور النهضة وأطوارها، وحوادثها وأبطالها، وتقدمها وتراجعها، وأفرحها وأحزانها، وأهدافها وآمالها.

وعلى هذا النحو أخذت أخرج حلقات هذه المجموعة.

ففى أواخر سنة ١٩٢٨ أخرجت الجزء الأول من «تاريخ الحركةالقومية وتطور نظام الحكم فى مصر» وهو يتضمن ظهور الحركة القومية فى تاريخ مصر الحديث، وبيان الدور الأول من أدوارها، وهو عصر المقاومة الشعبية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر، وتاريخ مصر القومى فى هذا العهد.

وفى أواخر سنة ١٩٢٩ ظهر الجزء الثانى، ويشتمل على تاريخ مصر القومى من إعادة «الديوان» فى عهد نابليون، إلى جلاء الفرنسيين عن البلاد سنة ١٨٠١، ومن جلاء الفرنسيين إلى ارتقاء محمد على الكبير أريكة مصر سنة ١٨٠٥.

وفى ديسمبر سنة ١٩٣٠ أصدرت الحلقة الثالثة وهى كتاب «عصر محمد على»، ويشتمل على تاريخ مصر القومى فى عهد هذا العاهل الكبير، وقد جعلت من هذا العصر دورًا هامًّا من أدوار الحركة القومية؛ إذ إن الحركة القومية كما عنيتها وجعلتها أساس البحث والتدوين، هى «الجهود التى بذلتها الأمة فى سبيل تحرير مصر من النير الأجنبى وفك قيود الاستبداد عنها وتقرير حقوق الشعب السياسية، هى التضحيات التى قدمتها، والآلام التى احتملتها، فى سبيل تكوين مصر الحرة المستقلة، وعلى هذا الاعتبار يجب أن نعدّ عصرَ محمد على صحيفة مجيدة من صحائف الحركة القومية؛ ففيه نشأت الدولة المصرية الحديثة، وفيه تحقق الاستقلال القومى، وشيدت الدعائم الكفيلة بالقيام به، وفيه تأسس الجيش المصرى والأسطول المصرى، والثقافة المصرية، وفيه وضعت أسس النهضة العلمية والاقتصادية فى البلاد»[٢].

وفى ديسمبر سنة ١٩٣٢ ظهر كتاب «عصر إسماعيل»، ويشتمل على تاريخ مصر القومى فى عهد خلفاء محمد على، وهو فى جزأين، يحتوى الأوّل على عهد عباس وسعيد، وأوائل عهد إسماعيل، ويتضمن الثانى ختام الكلام عن عهد إسماعيل.

---

(٢) كتابنا عصر محمد على ص ٤ (طبعة سابقة).

ثم أخرجت فى فبراير سنة ١٩٣٧ كتاب «الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى».

وفى سنة ١٩٤٢ ظهر كتاب «مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال» أرّخت فيه العشر السنوات الأولى من الاحتلال البريطانى، من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢.

وهذا الكتاب وإن كان يسبق من جهة التحديد الزمنى كتاب «مصطفى كامل» وكتاب «محمد فريد»، لكنى أخرجته بعد هذين الكتابين؛ إذ رأيتنى قد أبطأت فى إخراجهما، لاشتغالى بالحلقات الأولى من هذه المجموعة، فآثرت أن أؤجل إصدار كتاب «مصر والسودان» حتى أنتهى من إخراجهما.

ففى سنة ١٩٣٩ أصدرت كتاب «مصطفى كامل»، وهو إلى جانب تاريخ الزعيم، يشتمل على تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨.

وفى سنة ١٩٤١ ظهر كتابى عن «محمد فريد»، ويشتمل على تاريخ الزعيم الشهيد، ثم تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩.

وفى سنة ١٩٤٦ أخرجت كتاب «ثورة سنة ١٩١٩» فى جزأين، يحتوى الأوّل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة، وتطور الحوادث من بعد إنتهاء الحرب إلى شبوب الثورة فى مارس سنة ١٩١٩، ثم وقائع الثورة فى القاهرة والأقاليم.

ويشتمل الجزء الثانى على مهادنة الثورة، واستمرارها، ومحاكماتها، ومتابعة وقائعها حتى نهايتها فى أبريل سنة ١٩٢١، ونتائج الثورة فى حياة مصر القومية.

وفى سنة ١٩٤٧ ظهر الجزء الأوّل من كتاب «فى أعقاب الثورة المصرية»، والجزء الثانى فى سنة ١٩٤٩، وهذا الجزء الثالث فى سنة ١٩٥١.

إنى لم أقصد من هذه الأربعة عشر مجلدًا، التى قضيت فى وضعها وإخراجها

خمسًا وعشرين سنة، أن أؤرخ لمصر الحديثة فحسب، بل قصدت إلى جانب ذلك أن أساهم بقسط متواضع فى رفع معنويات الشعب، والنهوض بوعْيه القومى، وبمستواه الأخلاقى والوطنى، فالتاريخ ولا ريب وسيلة فعالة لتثقيف العقول، وتوجيه المواطنين إلى المثل العليا فى حياتهم القومية، وعلينا نحن الذين أوتينا شيئًا من العلم والمعرفة، أن نعلّم الشعب تاريخ بلاده، فإنه بذلك يقدرها حق قدرها، ويستشعر بواجباته نحوها؛ وكلما ازداد معرفة بتاريخها، ازداد حبًّا لها، وإذا أحبها أخلص لها، وإذا أخلص المواطنون لبلادهم، بذلوا كل ما فى مقدورهم وما يستطيعون لإسعادها ورفعة شأنها، وهذا هو معنى الوطنية، ومن هنا قالوا إن التاريخ مدرسة للوطنية، وهو من ناحية أخرى الوسيلة الناجعة لكى يفهم المواطنون الحقائق عن أحوالهم، فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، فالحاضر وثيقة الصلة بالماضى، وكذلك شأن المستقبل، حقًّا قد يكون الحاضر أو المستقبل خروجًا على الماضى، وإصلاحًا له، وقد يكون انتقاضًا عليه، ولكن لا مندوحة عن فهمه حق الفهم لكى نتعرف نقائصه ونفتتح عهدًا جديدًا من النهضة والإصلاح، وهذا وذاك لا يكون إلّا إذا عرفنا تاريخ بلادنا على وجهه الصحيح، ومبلغ صلته بحاضرها ومستقبلها، ولا غرو فالشعب كائن حىّ، يتطور وينمو ويتسلسل فى حياة أجياله، والأجيال فى حياة الأمم كمراحل العمر فى حياة الإنسان، مع هذا الفارق بينهما، وهو أن الإنسان مصيره إلى زوال، أما الأمة فباقية خالدة لا تزول، تتجدد على الدوام فى حياة أجيالها المتعاقبة.

فالروح الوطنية هى التى أملت علىَّ وضع هذه المجموعة وإخراجها، وهى التى ساعدتنى وعاونتنى على أن أصل بها إلى نهايتها.

على أنى فيما كتبت وأرّخت، لم أغلب العاطفة الوطنية على الحقائق التاريخية، بل حرصت على استقراء هذه الحقائق، وتدوينها دون تشويه أو تحريف أو هوى، وسلكت المنهج العلمى فى كتابة التاريخ، قدر ما استطعت، فقصدت إلى أن تكون هذه المجموعة مرجعًا لمن يريد أن يعرف تاريخ مصر فى هذه الحقبة من الزمن، بصرف النظر عن ميوله وشعوره، على

أن الروح الوطنية تتمشى فى حلقاتها، وهى الروح التى استلهمتها فى دراسة التاريخ، وإنى أعتقد أن هذا هو واجب المؤرخ فى كل أمة، فالتاريخ ليس مجرد سرد للوقائع، وتدوين لحوادث السنين سنة فسنة، ولو اقتصر على ذلك لكان علمًا جامدًا لا أثر له فى توسيع المدارك والأفكار، واستنارة الأذهان والبصائر، بل التاريخ هو توضيح وتصوير لتطور ذلك الكائن الحىّ، ألا وهو الشعب، واطراد نموه وتقدمه على تعاقب السنين والأجيال، فالشعب الذى يريد الحياة والتقدم يجب أن يعرف ماضيه معرفة تامة لكى يفهم حاضره ومستقبله على ضوء هذا الماضى، ويستنير بعظاته ودروسه، ويعرف مفاخره فيحافظ عليها ويرعاها، ويدرك أيضًا أخطاءه وعثراته فيتجنبها ويتلافاها.

هذا ما إليه قصدت، وعلى هذا الأساس وضعت هذه المجموعة، والله أسأل أن يلهمنا الهداية والتوفيق، والحمد لله، ثم الحمد لله.

١٠ أكتوبر سنة ١٩٥١ **عبد الرحمن الرافعى**

obeikandl.com